لاعادة قراءته من جديد قراءة سياسية تتجاوز القراءة الاولى التي رأت في الولي رمزاً للايديولوجية الغيبية المضللة.

وفي هذه القراءة، يمكن رؤية الولي كرمز سياسي يمثل القيادة القومية العربية التي تعلق فيها الفلسطيني طويلاً بأوهام الخلاص الوطني، فاكتشف، في النهاية، ان مثل هذا الخلاص هو محض وهم. ولم يتحقق تراجع هذا الوهم الا بظهور الانسان الفلسطيني الجديد.

وينسحب التفصيل الرمزي في «برقوق نيسان» مع امتداد مسار الحدث الواقعي، ينبثق من داخله ليمنحه غنى متزايداً ويكتسب من ارتباطه بالواقع مزيداً من الدلالات.

فزهر البرقوق يتجاوز قيمته الجمالية العادية، أو مجرد كونه هدية صغيرة يحملها العجوز «أبو القاسم» إلى رفيقة ابنه الشهيد. فهذه الهدية، رغم صغرها، تظل رمزاً زاخراً بالدلالة، فهي ورد الفقراء، واللهب المتوهج في لحظة المواجهة، انها دماء الأرض ودماء الشهداء، ورمز الانتماء إلى الأرض «وقد شعر بالتعب وهو يستل الزهور الغضة، وبدت له أشد تمسكاً بالأرض مما خيل إليه...» (ص ٥٨٦، ٥٨٧).

انها الرمز السري رغم علانيته، الذي يؤدي مهمة الربط بين المناضلين بعضهم ببعض، وهي الاشارة الاولى لبدء العلاقة الحميمة التي تنشأ بينهم «فقد تذكر انه حين رأى سعاد لأول مرة في أريحا لفت نظره قرص أحمر من زهر البرقوق يتوقد وسط شعرها الفاحم السواد، وأن ذلك بعث فيه السعادة لأن طلال قال له ان سيدة تحمل وردة حمراء ستزوره في أريحا، وتحدثه عن قاسم» (ص ٥٨٧).

وفي دائرة الحصار، حيث يقع العجوز في الكمين الذي نصبه جنود الاحتلال، فانه يظل متشبثاً بهذا الرمز، ويصبح زهر البرقوق مجالاً غامضاً للاتهام تحوم حوله الأسئلة. لكن زهر البرقوق يحتفظ في تلك اللحظة، بسرية معناه الرمزي، مثلما يجدر به أن يكون في لحظة كهذه، ومثلما يجدر بكل الناس والأشياء أن يحافظوا على السر. «انها باقة زهر يا سيدي، وهي لا تعنى شيئاً خطيراً على الاطلاق» (ص ٥٩٧).

ولكن زهر البرقوق، في تلك اللحظة، يعني الكثير. انه الرمز الكبير للعلاقة الحميمة، الخارجة من رحم الأرض،والتي يلتف حولها الجميع متوحدين... في زمن المواجهة.

■ ■ ■

يكتب غسان كنفاني:

«إن الدنيا عجيبة، وكذلك الأقدار. إن يداً وحشية قد خلطت الأشياء في السماء خلطاً رهيباً فجعلت نهايات الامور بداياتها والبدايات نهايات..»[٢٨]

وكان قدر غسان أن يشهد زمن الوهم، وأن يفضح الوهم. وكان قدره أن يكون